الفصل التاسع

في تفضيل الصحابة

المبحث الأول

في أفضلية أبي بكر رضي الله عنه

قال: وَأَفْضَلُ النَّاسِ بَعْدَ الأَنْبِيَاءِ أَبُو بَكْرٍ لِتَصْدِيقِهِ مِنْ قَبْلِ أَقْرَانِ

أقول : ذهب أهل السنة[1] وجماعة من قدماء المعتزلة إلى أن أفضل الناس بعد الأنبياء أبو بكر . وذهب الشيعة إلى أن الأفضل هو علي بن أبي طالب ، ووافقهم المتأخرون من أهل الاعتزال . واحتج الأصحاب على ذلك بالكتاب والسنة والأثر والأمارات .

أما الكتاب فقوله تعالى ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى * ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ * وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴾ (الليل:١٧-١٩). فإن المراد به إما أبو بكر أو علي ، إذ لا ثالث يراد بالاتفاق ، لكن قوله ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴾ (الليل:١٩) يمنع إرادة الثاني ، لما أن للنبي ﷺ على علي بن أبي طالب من نعمة التربية . فتعين الأول كما ذهب إليه كثير من المفسرين[2] .

---

(١) لمزيد من الدراسة انظر مقالات الإسلاميين للأشعري: ١٤٧/٢ ، تبصرة الأدلة لأبي المعين النسفي : ٨٩٦-٩٠٨ ، أبكار الأفكار للآمدي: ٢٨٩/٥-٢٩٢ ، شرح المواقف: ٣٩٧/٨-٤٠٥ ، شرح المقاصد : ٥١٨/٣-٥٢٧ ، شرح العقائد النسفية مع حاشية الخيالي: ١٩٦/١ .

(٢) انظر من التفاسير ـ مثلا ـ تأويلات أهل السنة للإمام الماتريدي : ٤٧٣/٥، تفسير ابن جرير الطبري: ٨٦٨٢/١٠ والتفسير الوسيط لشيخ الأزهر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي:٤٢٣/١٥ ، ٤٢٤.

وأما السنة فقوله ﷺ لأبي الدرداء حين كان يمشي أمام أبي بكر « تمشي أمام من هو خير منك والله ما طلعت الشمس ولا غربت بعد النبيين والمرسلين على أحد أفضل من أبي بكر »[1] وأما الأثر فما روى عن ابن عمر « كنا نقول ورسول الله حيى أفضل أمة النبي ﷺ بعده أبو بكر ثم عمر ثم عثمان »[2] عن علي « خير الناس بعد النبيين أبو بكر ثم عمر ثم الله أعلم »[3] .

وأما الأمارة فما تواتر في أيام أبي بكر من تأليف[4] القلوب وتتابع الفتوح وقهر أهل الردة وتطهير جزيرة العرب عن الشرك وإجلاء الروم عن الشام وطرد فارس عن حدود السواد وأطراف العراق مع أن لهم قوة كاملة وشوكة شكيمة وأموالا وافرة . واستدل المحقق على أفضلية أبي بكر بتصديقه النبي ﷺ وإسلامه قبل الأقران أي جميع الناس على ما عليه الأكثرون ، وصرح به حسان بن ثابت وأنشده[5] على

---

(١) ورد بألفاظ متقاربة في مجمع الزوائد: ٤٣/٩ ، ٤٤ ، والصواعق المحرقة لابن حجر الهيتمي: ١٠٣ وعلق عليه « وفيه إسماعيل بن يحيى التميمي وهو كذاب » .

(٢) أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب السنة ، باب في التفضيل ، عن ابن عمر: ٢٠٦/٤ ، رقم (٤٦٢٨) ، وأورده الحافظ ابن حجر في الفتح:١٦/٧ ، وأخرجه البخاري في صحيحه: ١٣٣٧/٣ ، رقم (٣٤٥٥) عن ابن عمر بلفظ متقارب « كنا نخير بين الناس في زمن النبي ﷺ فنخير أبا بكر ثم عمر ثم عثمان رضي الله عنهم » .

(٣) ورد في صحيح البخاري: ٩/٥ « عن محمد بن الحنفية ، قال: قلت لأبي أي الناس خير بعد رسول الله ﷺ ، قال أبو بكر ، قلت ثم من ، قال ثم عمر ، وخشيت أن يقول عثمان ، قلت ثم أنت ، قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين » .

(٤) ز: تألف .

(٥) والذي أنشده حسان ما يلي :

إذا تذكرت شجوا من أخي ثقة ... فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا

خير البرية أتقاها وأعدلها ... بعد النبي وأوفاها بما حملا

الصادق الثاني المحمود سيرته ... وأول الناس منهم صدق الرسلا

عاش حميدا لأمر الله متبعا ... بأمر صاحبه الماضي وما انتقلا

انظر البداية والنهاية لابن كثير: ٢٧/٣ ، تبصرة الأدلة لأبي المعين النسفي: ٨٩٧ ، ٨٩٨ واختلف الباحثون في أنه في مدح أبي بكر أم في رثائه . انظر حسان بن ثابت شاعر الرسول للدكتور سيد حنفي حسنين: ٢٢٠ .

رؤوس الأشهاد ولم ينكر عليه أحد . ويؤيده قوله ﷺ « أين مثل أبي بكر كذبني الناس وصدقني وآمن بي وزوجني ابنته وجهزني بماله وواساني بنفسه وجاهد معي ساعة الخوف »[1] .

وأراد بـ« الأقران » من بلغ مرتبة التكليف من الناس فإن إسلام علي وإن كان أسبق منه كما يدل عليه ما روى عن سلمان الفارسي « أولكم وروداً على الحوض أولكم إسلاما على بن أبي طالب » وعن عبد الله بن الحسن « كان أمير المؤمنين يقول أنا أول من صلى وأول من آمن بالله وبرسوله ولم يسبقني أحد إلى الصلاة إلا النبي ﷺ »[2] إلى غير ذلك ، إلا[3] أنه كان صبيا كما يصرح به الأثر المنقول عنه ، وأبو بكر أسلم حين كونه[4] بالغا عاقلا ولا شك أن إيمان البالغ الصادر عن استدلال أفضل من إسلام الصبي . ولو سلم بلوغه إلا أنه ليس بمشتهر فيما بين الناس ولا محترم ولا مقبول القول كالصبي الذي يكون[5] في البيت فلم يحصل بسبب إسلامه قوة وشوكة في الإسلام .

وأما أبو بكر فكان شيخا محترما أجنبيا فحصل بسبب إسلامه قوة عظيمة في الإسلام ، ألا يرى أنه لما أسلم اشتغل بالدعاء والتضرع إلى الله تعالى فأسلم ببركة دعائه على يده عثمان بن عفان وطلحة[6] والزبير[7] وسعد بن أبي وقاص[8] وعثمان ابن مظعون إلى غير ذلك ، فكان أفضل من إسلام على رضي الله عنه .

---

(١) ورد في مجمع الزوائد: ٤٦/٩ بلفظ متقارب ، وقال فيه: «وفيه أرطأة أبو حاتم ، وهو ضعيف» .
(٢) أورده الإمام أحمد في مسنده بألفاظ متقاربة: ٢٠٩/١ ، ٣٧٣ ، وطبقات ابن سعد: ٢١/٣ .
(٣) ز: بدون (إلا) . (٤) أول ق ٥٦ في أ . (٥) أول ق ٦٦ في ز .
(٦) هو طلحة بن عبيد الله بن عثمان القرشي التيمي أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، كان ممن سبق إلى الإسلام وأوذي في الله ثم هاجر فاتفق أنه غاب عن وقعة بدر في تجارة له بالشام وتألم لغيبته ، فضرب له رسول الله ﷺ وسهم بسهمه وأجره . انظر الإصابة: ٤٢٦٦ ، الاستيعاب ٧٦٤/٢ ، طبقات ابن سعد: ٢١٤/٣ ، ٢٢٥ وسير أعلام النبلاء: ١٥/٣ .
(٧) هو الزبير بن العوام بن خويلد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب . حواري رسول الله ﷺ وابن عمته صفية بنت عبد المطلب ، وأحد العشرة المشهودة لهم بالجنة ، وأحد الستة أهل الشورى ، وأول من سل سيفه في سبيل الله . انظر الإصابة: ٤٥٤/١ ، الاستيعاب:٥١٠/٢ ، سير أعلام النبلاء: ٢٦/٣ .
(٨) هو سعد بن أبي وقاص واسم أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب ابن مرة بن كعب بن لؤي ، الأمير أبو إسحق القرشي الزهري المكي أحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأحد السابقين الأولين إلى الإسلام وأحد من شهدوا بدرا والحديبية وأحد الستة أهل الشورى ، توفى سنة ٥٦ هـ . انظر سير أعلام النبلاء: ٥٨/٣ وأسد الغابة: ٢٩٠/٢ .

واحتج المخالف أيضا بالكتاب والسنة والأمارة . أما الكتاب فقوله تعالى ﴿ فَقُلْ [1] تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ﴾(آل عمران:٦١). فإنه أراد بـ« أنفسنا » عليا رضى الله عنه ، لأنه ﷺ حين دعا وفد نجران إلى المباهلة خرج معه على والحسن[2] والحسين[3] وفاطمة[4] فقط ، وهو يقول « إذا أنا دعوت فأمنوا» ولا شك أن من كان بمنزلة نفس النبي يكون أفضل . ورد بأن المراد بأنفسنا نفس جميع قرابة النبي ﷺ ، (هذا كما يقال دعوت نفسي . وقد يقال بل المراد جميع قرابة النبي ﷺ)[5] وخدمه ممن نزل عرفا منزلة نفسه ﷺ وليس بشيء . إذ يلزم حينئذ استدراك ذكر الأنبياء قبلها .

وأما السنة[6] فقوله ﷺ « اللهم ائتني بأحب خلقك يأكل معي هذا الطير فأتاه على وأكل معه»[7] ، ولا شك أن الأحب إلى الله أفضل عنده . ورد بأنه لايفيد كونه

---

(١) أ: بدون (قل) .

(٢) هو:الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي ، أبو محمد خامس الخلفاء الراشدين ، سيد شباب أهل الجنة ، وأمه فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين ، ولد في السنة الثالثة من الهجرة ، وكان أشبه الناس بجده ﷺ ، حج خمس عشرة حجة ماشيا ، وخرج من ماله مرتين ، توفى سنة ٥٠ هـ . انظر الإصابة: ٣٢٨/١ والأعلام: ١٩٩/٢ .

(٣) هو: الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي أبو عبد الله الإمام الشهيد سبط النبي ﷺ سيد شباب أهل الجنة ، استشهد سنة ٦١ هـ . انظر الكامل لابن الأثير: ١٩/٤ وتاريخ الطبري: ٢١٥/٦ .

(٤) هي: فاطمة الزهراء سيدة نساء أهل الجنة ، بنت سيدنا رسول الله ﷺ وريحانته ، ومناقبها وفضائلها أكثر من أن تحصى ، وللسيوطي «الثغور الباسمة في مناقب السيدة فاطمة» ، ولدت قبل الهجرة بثمان عشرة سنة ، وتوفيت بعد أبيها ﷺ بستة أشهر . انظر الأعلام للزركلي: ١٣٢/٥ .

(٥) ما بين القوسين ساقط من « ز» .

(٦) لقد ورد في فضائل سيدنا علي ﷺ من الأحاديث ما لم يرد في الثلاثة الآخرين من الخلفاء الراشدين . وأجاب عنه بعض الأئمة بأن سبب ذلك أنه عاش إلى زمن الفتن ، وكثرت أعداءه ، وقدحهم فيه وحطهم عليه ، وغمصهم لحقه بباطلهم فبادر حفاظ الصحابة رضوان الله عليهم وأخرجوا ما عندهم في حقه ، ردعا لأولئك الفسقة المارقين والخوارج المخذولين . انظر الفتاوى الحديثية لابن حجر الهيتمي: ٢٠٨ .

(٧) أخرجه الترمذي في سننه ، عن أنس بن مالك: ٦٣٦/٥ ، رقم (٣٧٢١) ، وقال حديث غريب . وأورده ابن الجوزي في العلل المتناهية: ٢٢٨/١ .

أحب إلى[1] الله من كل وجه بل من بعض الوجوه ، ولا كلام فيه . وأما الأمارة فما اجتمع فيه من الكمالات العلمية والعملية . ولهذا كان مرجعا في كثير من الوقائع ومسند الجم الغفير من العلماء ، مع ما له من الشجاعة التامة والقدرة الكاملة . ولهذا قال سيد المرسلين « لافتى إلا علي ولا سيف إلا ذو الفقار »[2] ، وقال في يوم الأحزاب « لضربة على خير من عبادة الثقلين »[3] .

والجواب أن اجتماع الكمالات العلمية والعملية لا اختصاص له بعلي بن أبي طالب ، بل هو متحقق في غيره أيضا . وأما حديث الشجاعة والقدرة الكاملة فعلى[4] تقدير اختصاصها به لا يدلان إلا على الأفضلية بمعنى كثرة الخصال الحميدة فيه ، والكلام في الأفضلية بمعنى كثرة الثواب عند الله تعالى . فإن قلت قد تحقق منه بسبب شجاعته وقدرته من الجهاد وضرب الرقاب ما لم يوجد في غيره وأنه خير من عبادة الثقلين لما مر . قلت يمكن أن يثبت في غيره[5] جهة أخرى لا يوجد مثلها فيه فلا يحصل الجزم بأفضليته بتحقق ذلك فيه . واعلم أن أمثال هذه التأويلات تجري أيضا فيما ذكره الأصحاب ، فلا يعتمد عليه في مثل هذا الباب .فالأولى فيه الاختصار على الإجماع المنعقد قبل ظهور المخالفين ، ولا نطول بذكره الكتاب .

* * *

(١) ز: بدون (إلى) .

(٢) ذكره محمد شمس الحق العظيم آبادي في عون المعبود: ٢٦٤/١٠ ، رقم (٣٨٨٤) ، وقال : قال المنذري والحديث أخرجه الترمذي . ولم أجده في الترمذي .

(٣) لم أقف على مصدره فيما توفر لدي من كتب التخريج .

(٤) أ: على .

(٥) أ: بدون (غيره) .

المبحث الثاني

في تفضيل عمر على من بعده

قال: وَبَعْدَهُ عُمَرُ الْفَارُوق إِذْ هُوَ فِـي إِظْهَارِ دِيـنِ رَسُـولٍ خَيْـرُ مِعْـوَانِ

أقول : ذهب أهل السنة إلى أن الأفضل بعد أبي بكر من الأصحاب هو عمر ابن الخطاب رضى الله عنه ، واستدلوا عليه بالسنة والأثر والأمارة . أما السنة فقوله ﷺ «خير[1] أمتي أبو بكر ثم عمر» ، وأما الأثر فقد مر ذكره في تفضيل أبي بكر ، وأما الأمارة فهي[2] ما أشار إليه المحقق من أنه خير معوان دين الإسلام لما تواتر في زمن خلافته من فتح المشارق وقهر الأكاسرة وأخذ الخراج من القياصرة وثل عروشهم وهدم[3] دولتهم والسبي من أموالهم وأولادهم وترتيب الأمور وسياسة الجمهور وإفاضة العدل والإحسان على الفقراء والمساكين مع إعراضه عن متاع الدنيا وطيباتها وملاذها[4] وشهواتها .

* * *

(١) أول ق ٦٧ في ز .
(٢) أ ، ز: فهو .
(٣) أول ق ٥٧ في أ .
(٤) أ: وملازها .

المبحث الثالث

في تفضيل عثمان رضي الله عنه

قال: وَبَعْدَ ذَلِكَ قَدْ[1] أَفْتَى مَشَايِخُنَا أَنْ لاَ تَرَدُّدَ فِي تَفْضِيلِ عُثْمَانِ

أقول: ذهب كثير من الأصحاب[2] إلى أن الأفضل بعد عمر من الصحابة هو عثمان بن عفان ، وتمسكوا فيه[3] بالأثر والأمارة . أما الأثر فقد مر عن ابن عمر ، وأما الأمارة فما تواتر في عهد خلافته من فتح كثير من البلاد وإعلاء لواء الشرع إلى السماك واجتماع الناس على مصحف واحد ، مع ما كان له من تجهيز جيوش المسلمين والإنفاق في نصرة الدين والمهاجرة بهجرتين وكونه ختنا للنبي ﷺ على ابنتين وبلوغه الغاية القصوى في الاستحياء من الشين . وقد قال النبي ﷺ في حقه[4] « عثمان أخي ورفيقي في الجنة »[5] وقال ﷺ « ألا أستحي ممن يستحي منه ملائكة السماء »[6] وقال « إنه يدخل الجنة بغير حساب »[7] .

وقد استدل المحقق على كونه أفضل من علي بن أبي طالب باتفاق المشايخ وحكمهم بأنه أفضل منه من غير تردد . وفيه رد على من تردد منهم فيما بينهما أو[8] مال إلى أفضلية على من عثمان بن عفان[9] .

---

(١) أ: فقد .

(٢) انظر في تفضيل عثمان رضي الله عنه أصول الدين للبغدادي: ٣٠٤ ، تبصرة الأدلة للنسفي: ٩١٠ ، ٩١١ ، شرح العقائد: ١/ ١٩٦.

(٣) أ: بدون (فيه) . (٤) ز: في حق .

(٥) أخرجه أحمد في مسنده، عن عثمان بن عفان: ١/٧٤، رقم (٥٥٢)، وانظر أيضا فتح الباري: ٥/٤٠٨ .

(٦) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ، باب من فضائل عثمان ، عن عائشة: ٤/١٨٦٦ ، رقم (٢٤٠١)، وأورده السيوطي في تاريخ الخلفاء: ١٢١ .

(٧) لم أقف عليه في كتب السنة المتوفرة لدي .

(٨) ز: أ .

(٩) ومن الذين فَضَّلوا عليا على عثمان من أهل السنة سفيان الثوري ومالك في قوله الأول . انظر الفتاوى الحديثية لابن حجر الهيتمي: ٢٠٨ ، شرح الإمام اللقاني المسمى بهداية المريد على كتابه جوهرة التوحيد مخطوطة الأزهر ورقة: ٨٤ وحاشية الباجوري على الجوهرة: ٢٣٨ .

المبحث الرابع

في تفضيل علي رضي الله عنه

قال: وَبَعْدَ ذَاكَ عَلِـيٌّ وَهُـوَ أَقْـرَبُهُمْ إِلَى النَّبِيِّ وَأَحْظَـى بَـيْنَ أَخْتَـانِ[1]

أقول : المناسب لسياق كلامه تعليل أفضلية على ممن بعده بكونه أقرب إلى النبي ﷺ نسبا ، فإن عباسا وإن كان عم النبي ﷺ إلا أنه أخ عبد الله من الأب وأبو طالب كان أخاه من الأب والأم ، و[2] بكونه أوفر حظا فيما بين الأختان[3] لكونه زوج فاطمة التي هي سيدة نساء العالمين ، إلا أن المحقق لم يصرح به لما يترای[4] على ظاهره أثر الإهمال فتبصر[5] .

* * *

---

(١) أ: ختان .

(٢) ز: بدون الواو .

(٣) ز: أختان .

(٤) أ: بدون (يترای) .

(٥) ومما قاله الشيخ عثمان الكليسي هنا: «فأشار الناظم المحقق بقوله وهو أقربهم إلى أن الدليل العقلي لا يعتد به عند وجود الدليل النقلي المعارض له ، وهو إجماع السلف على تفضيل عثمان . فيكون قوله «وهو أقربهم» جملة حالية قيدا لهذا الحكم ، وليس هنا تعليلا لأفضلية علي ممن بعده كما توهم ، لأن علة أفضليته معلومة من الأبيات السابقة . . .» . انظر خير القلائد شرح جواهر العقائد للشيخ عثمان الكليسي: ١٣٠ .